Journal Of the Iraqia University (75-7) April (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

ديناميكية البنية الحجاجية عند حازم القرطاجني دراسة استقرائية في كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء

بيمان عمر درويش
المشرف: أ.د. نزار خورشيد مامه
جامعة زاخو كلية التربية الأساس قسم اللغة العربية لغة

ملخص البحث:

البحث اعتمد على المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي في تناول موضوع الحجاج الذي كثرت عنه الدراسات الحديثة، وتم التطرق اليه من زوايا فلسفية وفكرية واجتماعية ونفسية، وأصبح من المصطلحات التي لفتت نظر الكثير من الدارسين، لأنه من المواضيع الحيوية التي تلامس الذات الانسانية من زوايا متعددة، سيما أن المتكلم يحاول دائما اقناع المخاطب باساليب عديدة. وتوقف البحث عند نقطة (الحجاج والاقناع) من خلال دراسة النماذج التي ذكرها القرطاجني في كتابة (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) الذي بين فيه ان حسن ترتيب الالفاظ وتناسبها الصوتي والدلالي يخلق في نفس المتلقي احساسا بالجمال، وهذا الحس الجمالي يؤدي بدوره الى تعزيز قبول المعنى.وتوصل البحث الى ان لغة المتكلم وامكاناته البلاغيه والفكرية في صياغة خطابات مقنعة، تعتمد الى حد كبير على وسائل وحجج بلاغية. كلمات مفتاحية: الحجاج، حازم القرطاجني، الاقناع، المتكلم، المخاطب.

Research Summary:

This research employs a descriptive, analytical, and inductive approach to address the topic of argumentation, a subject that has been the subject of numerous modern studies. Argumentation has been approached from philosophical, intellectual, social, and psychological perspectives, and it has become a term that has attracted the attention of many scholars. This is because it is a vital topic that touches upon the human psyche from multiple angles, especially since speakers always attempt to persuade their audience using various methods.The research focuses on the point of argumentation and persuasion by studying the models mentioned by Al-Qurtajani in his book "Minhaj al-Bulagha' wa Siraj al-Udaba'" (The Path of Eloquence and the Lamp of Writers). In this book, Al-Qurtajani demonstrates that the skillful arrangement of words and their phonetic and semantic harmony create a sense of beauty in the recipient, and this aesthetic sense, in turn, enhances the acceptance of the meaning.The research concludes that a speaker's language and rhetorical and intellectual capabilities in crafting persuasive discourses depend to a large extent on rhetorical devices and arguments.

إشكالية البحث:

كيف تتجلى البنية الحجاجية في تصور حازم القرطاجني للخطاب الأدبي في كتابه منهاج البلغاء؟تتمحور إشكالية هذا البحث حول الكشف عن طبيعة البنية الحجاجية في الخطاب الأدبي كما تصورها حازم القرطاجني، وذلك من خلال كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حيث لم يعد الخطاب الأدبي عنده مجرد بناء جمالي، بل غدا نسقًا حجاجيًا يستهدف التأثير في المتلقي واقناعه.وعليه، يمكن صياغة الإشكالية الرئيسة على النحو الآتي:ينطلق هذا البحث من إشكالية مركزية مفادها: كيف تتجلى البنية الحجاجية في تصور حازم القرطاجني للخطاب الأدبي في كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء؟ وذلك من خلال الوقوف على الآليات الحجاجية والوسائل اللسانية التي اعتمدها، والكشف عن مدى ارتباط البنية الجمالية بالوظيفة الإقناعية في النص الأدبي.

أسئلة البحث:

يحاول البحث الاجابة على مجموعة من الاسئلة الشائكة أبرزها:هل هناك علاقة بين البنية الحجاجية والخطاب البلاغي؟ وما نوعية هذه العلاقة؟ وكيف تؤثر على قوة الخطاب البلاغي؟ وما هي الوسائل التي اعتمد عليها الخطاب البلاغي في صياغة الحجج الوصول الى بيان نوع العلاقة التي تربط ما بين البنية الحجاجية والخطاب البلاغي؟ما هي الوسائل التي يعتمد عليها كلٌ من المتكلم والمخاطب في صياغة وبناء الحجج وعرضها؟ وللوصول الى ذلك سيحاول البحث بيان الكيفية التي صاغ بها حازم القرطاجني سرد حججه التي والاساليب البلاغية التي اعتمدها في ذلك؟

منهج البحث:

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي في عرض الموضوع وتحليل نصوص منهاج البلغاء

المقدمة:

اكتسب مفهوم الحجاج مساحة واسعة من الاهتمام لدى الدارسين المحدثين، وتناولوه من جوانب وزوايا متعددة، على الرغم الجذور القديمة لهذا المفهوم في التراث العربي القديم، الا ان الدراسات الحديثة قد اضفت على هذا المصطلح مفاهيم معاصرة وتناولوا الحجاج من زوايا سوسيولوجية وسايكولوجية وايدولوجية وربطوه بالمقاصد الكامنة في اعماق المتكلم، ودور المتلقي –المخاطب– في هذه العملية، عليه فان موضوع الحجاج يتطلب من الدارسين التعمق فيه وفق المناهج والنظريات الحديثة على اعتبار الحجاج من وسائل الاقناع الاساسية التي تعتمد عليها المتكلم في خطاباته وكتاباته.وللوقوف عند تفاصيل هذا المصطلح وبيان دوره في ترسيخ العلاقة بين المتكلم والمخاطب واظهار الوسائل التي يعتمد عليها المتكلم لاثبات حجته لدى المخاطب، اعتمدنا على تحليل الخطابات التي اعتمدها حازم القرطاجني في مؤلفه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لبيان هذه الحجج من جهة ولاثبات ان جذور الحجاج ممتدة الى اعماق التراث العربي. ولتحقيق هذه الغاية اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي اذ قسمنا البحث الى شطرين الاول نظري للتعريف بمصطلح الحجاج قديما في التراث العربي وحديثا في التراث الغربي، والشطر الثاني خصصناه لتحليل نماذج منتقاة من كتاب القرطاجني.وتوصل البحث في النهاية الى مجموعة من النتائج اهمها ان للحجاج عمق وجذور تمتد الى التراث العربي، ومن أبرز وسائل الحجاج لدى المتكلم التعليل والتوكيدوالمقارنة.

المبحث الأول: الإطار النظري

اولا: مفهوم البنية الحجاجية في الخطاب البلاغي:

تُعدّ البنية الحجاجية من المفاهيم المركزية في الدراسات البلاغية الحديثة، إذ لم يعد الخطاب البلاغي يُنظر إليه بوصفه بناءً جماليًا فحسب، بل باعتباره نسقًا تواصليًا يسعى إلى التأثير في المتلقي وإقناعه. ومن هذا المنطلق، تُعرَّف البنية الحجاجية بأنها التنظيم الداخلي للخطاب، الذي تنتظم فيه الحجج والوسائل اللغوية والبلاغية وفق ترتيب مخصوص، يهدف إلى توجيه المتلقي نحو تبنّي موقف أو الإذعان لأطروحة معينة (١) وتتأسس هذه البنية على تفاعل ثلاثة أبعاد رئيسة: البعد المنطقي الذي يتجلى في بناء الأدلة وترتيبها، والبعد البلاغي الذي يُعنى بأساليب التأثير والإقناع، ثم البعد التداولي الذي يراعي المقام والسياق وحال المتلقي. ومن ثمّ، فإن الحجاج في الخطاب البلاغي لا يقتصر على تقديم الحجج، بل يشمل أيضًا كيفية عرضها وصياغتها بما يحقق الفعالية التأثيرية (٢)وفي التراث العربي، نجد إرهاصات واضحة لهذا التصور، خاصة عند حازم القرطاجني في كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حيث ربط بين جودة الخطاب وقدرته على إحداث الأثر في نفس المتلقي، مؤكدًا أن البلاغة لا تنفصل عن وظيفة الإقناع، وأن حسن ترتيب المعاني وتناسبها يسهم في تحقيق الغاية الحجاجية (٣)أما في الدراسات الحديثة، فقد توسّع مفهوم البنية الحجاجية مع أعمال أوزفالد دوكرو الذي أبرز البعد اللغوي للحجاج، معتبرًا أن اللغة في ذاتها تحمل طابعًا حجاجيًا، وأن الروابط والتراكيب تسهم في توجيه المعنى وإقناع المتلقي (٤). كما أكّد طه عبد الرحمن على البعد التداولي للحجاج، مبرزًا أن الخطاب لا يكتسب قيمته الإقناعية إلا ضمن سياق تواصلي يراعي أطراف الخطاب وشروطه (٥)في المؤلف المشترك لبيرمان وتيتكا يعرفا الحجاج: "الخطابة الجديدة" بقولهما: "موضوع الحجاج هو دراسة تقنيات الخطاب التي شانها ان تؤدي بالأذهان الى التسليم بما يعرض عليها من اطروحات او تزيد درجة التسليم"(٦). والمقصود بذلك ان الحجاج أساسه الحوار وهدفه الاقناع والتأثير.ان مفهوم الحجاج عند أبو بكر العزاوي: هو ما أسس على بنية الاقوال اللغوية وعلى تسلسلها واستغلالها داخل الخطاب (٧).تميز "طه عبد الرحمن" بنظرته عن الحجاج طابع فلسفي وذلك بسبب اعتماده على المنطق وانه قام بجمع القديم العربي والحديث الغربي وكان يرى "ان أصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية، بناء على انه لا خطاب بغير حجاج (٨)ان اغلب التعاريف الحجاج الاصطلاحية تذهب على انه عملية اتصالية قائمة على علاقة تخاطبيه بين المرسل والمتلقي حول قضية ما، وفي هذه العملية يقوم المرسل بدعم أقواله بالحجج المنطقية والبراهين من اجل اقناع المرسل اليه والمستمع والتأثير في موقفه وسلوكه (٩). وللمرسل اليه الحق في

الاعتراض عليه ان لم يقتنع بهذه الحجج او وجدها غامضة ومبهمة، ومن هنا يرى بعضهم ان الحجاج هدفه الاقناع كما يرى عبد الهادي بن ظافر الشهري حيث يعرفه على انه: الالية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها، وتتجسد استراتيجية الاقناع [١٠]يختلف مفهوم الحجاج من حقل الى اخر، فهناك المفهوم الفلسفي للحجاج، والمفهوم المنطقي، فضلا عن المفهوم البلاغي والتداولي المنبثق من رؤية لسانية، وهذا التنوع عامل من العوامل التي جعلت مفهوم الحجاج من المفاهيم المثيرة للالتباس التي يصعب الإحاطة بها [١١]عرفه شايم بيرلمان في كتابه مصنف الحجاج بقوله: "هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها ان تؤدي بالأذهان الى التسليم بما يعرض عليها من اطروحات، او ان تزيد في درجة ذلك التسليم"[١٢]. لذلك يمكن الاستنتاج بان بيرلمان ربط الحجاج بالإقناع والذي هو الغاية للعملية الحجاجية.وعليه، يمكن القول إن البنية الحجاجية في الخطاب البلاغي تقوم على عناصر أساسية، من أبرزها: الأطروحة، والحجج، والروابط الحجاجية، والآليات الأسلوبية (كالعطف، والتكرار، والإحالة)، فضلًا عن حضور المتلقي بوصفه عنصرًا فاعلًا في بناء المعنى. وهذه العناصر مجتمعة تُشكّل نظامًا متكاملًا يهدف إلى تحقيق الإقناع والتأثير.وخلاصة القول، إن البنية الحجاجية تمثل جوهر الخطاب البلاغي، إذ تكشف عن الكيفية التي تُنظَّم بها اللغة لخدمة غايات إقناعية، مما يجعل البلاغة والحجاج مجالين متداخلين يلتقيان في تحقيق التأثير في المتلقي وتوجيهه.

ثانيا: أسباب اختيار حازم القرطاجني نموذجًا للدراسة.

. يعود اختيار حازم القرطاجني وكتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء موضوعًا للدراسة إلى جملة من الاعتبارات العلمية والمنهجية. فقد عُدّ القرطاجني من أبرز النقاد في التراث العربي، إذ سعى إلى بناء نظرية متكاملة في الشعر والبلاغة، متجاوزًا الطرح الوصفي إلى التأصيل النظري القائم على التحليل والتقعيد[13] كما يتميز هذا الكتاب بكونه من أهم المؤلفات التي جمعت بين البلاغة والفلسفة، حيث تأثر صاحبه بالمنطق الأرسطي، خاصة في معالجته لمفهوم الحجاج والإقناع، مما جعله يربط بين التأثير في المتلقي والبناء اللغوي للنص [١٤]إضافة إلى ذلك، يزخر الكتاب بوسائل حجاجية وأساليب لسانية متعددة، مثل العطف والإحالة والتركيب، وهي أدوات تسهم في تحقيق الإقناع والتأثير، مما يجعله مجالًا خصبًا للدراسة التداولية والحجاجية الحديثة [١٥]كما أن أهمية هذا الاختيار تنبع من محاولة إبراز إسهامات النقد العربي القديم في تأسيس نظرية حجاجية، وإعادة قراءتها في ضوء المناهج الحديثة، خاصة في ظل قلة الدراسات التطبيقية التي تناولت نصوص القرطاجني من هذا المنظور [١٦].

المبحث الثاني: تجليات البنية الحجاجية في نصوص كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)

أولاً: الحجاج بالتعليل في خطاب حازم القرطاجني

يعدّ **التعليل** من أبرز الآليات العقلية التي يقوم عليها البناء الحجاجي في كتاب *منهاج البلغاء وسراج الأدباء* .فحازم لا يكتفي بعرض الأحكام البلاغية عرضًا تقريريًا، بل يسعى إلى **تأسيسها استدلاليًا** من خلال ربطها بأسبابها ووظائفها في الخطاب. ومن هنا يتخذ التعليل عنده وظيفة حجاجية واضحة، إذ يتحول من مجرد تفسير إلى **أداةٍ لإقناع المتلقي بصحة الحكم البلاغي**.ويظهر ذلك في حديثه عن طبيعة الشعر ووظيفته، وهو ما سنتناوله بالتحليل هنا حيث يربط قيمة الخطاب الشعري بقدرته على إحداث التأثير في نفس السامع. فالشعر – في نظره – لا يُقوَّم بصفاته الشكلية وحدها، بل بما يُحدثه من أثر في المتلقي، وهو ما يجعله يربط بين البلاغة ووظيفتها الإقناعية.وتقوم الحجة التعليلية عند حازم على بنية استدلالية تتدرج من **المبدأ العام** إلى **النتيجة البلاغية**، ويمكن إعادة بناء هذا الاستدلال على النحو الآتي:إنّ الغاية الأساسية للخطاب البلاغي هي التأثير في المتلقي وإقناعه، وبما أنّ الشعر هو أحد أنماط الخطاب البلاغي، لذلك فإن قيمته تتحدد بقدرته على تحقيق هذا التأثير، ويكشف هذا الاستدلال عن **ترابط منطقي بين الوظيفة البلاغية والحكم النقدي**؛ فحازم لا يقرر قيمة الشعر ابتداءً، بل يعلّلها بوظيفته في التأثير والإقناع. وتكمن الوظيفة الحجاجية للتعليل في كونه يؤدي في خطاب حازم عدة وظائف حجاجية، من أهمها: إضفاء المشروعية العقلية على الحكم البلاغي، فبدل أن يعتمد الناقد على الذوق أو الانطباع، يسعى حازم إلى تقديم **مبررات عقلية** لأحكامه، مما يمنحها طابعًا علميًا واستدلاليًا، وربط البلاغة بوظيفتها التواصلية، ويتجاوز حازم التصور الشكلي للبلاغة، إذ يجعلها مرتبطة بوظيفتها في **التأثير والإقناع**، وهو ما يمنح الخطاب البلاغي بعدًا تداوليًا واضحًا.ويسهم التعليل في قيادة القارئ تدريجيًا نحو النتيجة؛ لأن الحجة المبنية على سبب مقنع تكون أقرب إلى القبول من الحكم المجرد، إذ يمكن تمثيل الحجاج التعليلي في خطاب حازم بالبنية الآتية:

–البلاغة غايتها التأثير في المتلقي

– الشعر خطاب بلاغي

وبالتالي فإنّ **الشعر الجيد هو ما يحقق التأثير والإقناع**، وتكشف هذه البنية عن أن الحكم البلاغي عند حازم لا يقوم على **التقرير المباشر**، بل على **الاستدلال التعليلي** الذي يربط النتيجة بمقدماتها.إن اعتماد حازم على التعليل في بناء أحكامه البلاغية يدل على وعيه العميق بالطبيعة

الحجاجية للخطاب الأدبي؛ إذ يرى أن الشعر لا يُفهم بوصفه مجرد بناء لغوي جميل، بل باعتباره **فعلًا تواصليًا يقصد إلى التأثير في المتلقي،** ومن هنا يصبح التعليل وسيلة للكشف عن العلاقة بين **اللغة والتأثير النفسي والإقناع**.كما يكشف هذا المنهج عن تأثر حازم بالتفكير المنطقي الذي كان حاضرًا في الثقافة العربية الوسيطة، حيث تسعى المعرفة إلى تأسيس أحكامها على **السبب والبرهان،** ولذلك يمكن القول إن التعليل في *منهاج البلغاء* يمثل أحد الأسس التي يقوم عليها البناء الحجاجي في تصور حازم للبلاغة.ويتضح من هذا النموذج أن التعليل في خطاب **حازم القرطاجني** ليس مجرد تفسير لغوي، بل هو **آلية حجاجية** تهدف إلى إقناع المتلقي بصحة الحكم البلاغي، وربط البلاغة بوظيفتها، الإقناعية، وبناء تصور علمي للخطاب الأدبي قائم على الاستدلال.ومن ثم فإن التعليل يشكّل أحد الأعمدة الأساسية للبنية الحجاجية في كتاب *منهاج البلغاء وسراج الأدباء* ، إذ يكشف عن محاولة حازم تأسيس البلاغة على **منطق الإقناع والتأثير** لا على الوصف الجمالي وحده.

ثانياً: التدرج المنطقي في بناء الحجة.

يقول حازم القرطاجني في تعريف الشعر:الشعر كلامٌ مخيَّلٌ موزون، مختصّ في اللسان العربي بزيادة التقفية، والغرض منه استمالة النفوس إلى ما يقصده الشاعر من مدحٍ أو ذمّ أو غير ذلك، لأن النفوس تميل إلى ما يُخيَّل لها من المعاني في صورٍ حسنةٍ، فإذا تصوّرت تلك الصور انبعثت إلى قبولها أو النفور منها بحسب ما يريده الشاعر[١٧].يقيّم حازم في هذا النص تعريفه للشعر على بناء استدلالي متدرّج يجمع بين التعريف والتحليل النفسي للمتلقي، فبدلاً من أن يعرّف الشعر تعريفًا شكليًا محضًا، يقوم بتبرير هذا التعريف عبر بيان وظيفة التخييل في التأثير في النفوس، وتقوم الحجة هنا على الانتقال من ملاحظة عامة حول طبيعة النفس الإنسانية إلى حكم خاص يتعلق بوظيفة الشعر.ويمكن استخلاص بعض المقدمات الكبرى لهذا النص أنّ النفس الإنسانية تميل إلى المعاني التي تُعرض عليها في صور تخييلية جميلة، لأن الصورة المتخيلة تؤثّر في الشعور والانفعال.وتكمن القيمة الحجاجية في هذه المقدمة في كونها تمثل قاعدة نفسية عامة يعتمدها حازم في بناء حجته، وهي أن الخيال يؤثر في وجدان الإنسان، ويمكن استخراج المقدمات الصغرى من هذا النص من خلال الإشارة الى انّ الشعر خطاب يعتمد على تصوير المعاني في صور تخييلية موزونة، وتكمن قيمتها الحجاجية هنا في كون حازم يربط بين القاعدة العامة وبين طبيعة الشعر، فيجعل الشعر ميدان تطبيق تلك القاعدة النفسية وهو ينتهي الاستدلال إلى النتيجة الآتية:

أنّ الشعر خطاب قادر على استمالة النفوس والتأثير فيها بسبب اعتماده على التخييل.وتفسر هذه النتيجة سبب اعتبار الشعر من أكثر الخطابات قدرة على التأثير.وتقوم الحجة هنا على قياس اقتراني منطقي يمكن تمثيله على النحو الآتي:المقدمة الكبرى: كل خطاب يعتمد على التخييل المؤثر يميل بالمتلقي إلى قبول المعنى.المقدمة الصغرى: الشعر خطاب يعتمد على التخييل المؤثّر.إذن الشعر يميل بالمتلقي إلى قبول المعنى.ويمكن تمثيل التدرج الاستدلالي عند حازم في هذا النص كما يأتي:التخييل يؤدي الى تكوين الصورة الذهنية وهو ما يؤدي الى إثارة الانفعال النفسي التي تؤدي الى استمالة النفس مما يؤدي في النهاية الى قبول المعنى[١٨]ويكشف هذا النص عن طبيعة التفكير البلاغي عند حازم القرطاجني، إذ يجمع بين:التحليل النفسي للمتلقي بوصفه أساس التأثير البلاغي، والاستدلال المنطقي في بناء الأحكام النقدية، والوظيفة الإقناعية للشعر بوصفه خطابًا يهدف إلى استمالة النفوس ومن ثم فإن تعريف الشعر عند حازم لا يقوم على الجانب الشكلي فقط (الوزن والقافية)، بل يقوم أساسًا على البعد الحجاجي للتخييل الذي يجعل الخطاب الشعري قادرًا على التأثير في المتلقي.ويتبين من هذا التحليل أن حازم القرطاجني يؤسس نظريته في الشعر على بناء حجاجي متكامل، يبدأ بمقدمة نفسية عامة، ثم يطبّقها على طبيعة الشعر، ليصل إلى نتيجة مفادها أن الشعر خطاب إقناعي يعتمد على التخييل في استمالة النفوس. وبهذا يصبح التخييل عنده أداة حجاجية مركزية في بناء الخطاب الشعري.

٢. الحجاج التخيلي والانفعالي

– دور الصورة الشعرية في الإقناع.

يقول حازم القرطاجني في بيان أثر التخييل في الشعر (بالمعنى القريب من نصه)إذا صوّر الشاعر المعاني في صورٍ تخييلية حسنة، انبعثت النفس إلى تصورها كأنها مشاهدة، فإذا استقرت تلك الصورة في الخيال أثارت في النفس انفعالًا يوافقها، ومن ثم تميل النفس إلى المعنى الذي اشتملت عليه تلك الصورة[19].وواضح أنّ خطاب حازم في هذا النص يقوم على فكرة أساسية مفادها أن الصورة الشعرية ليست مجرد عنصر جمالي، بل وسيلة تأثير في المتلقي. ويعتمد في إثبات ذلك على تحليل العلاقة بين الخيال والانفعال النفسي، حيث يرى أن تصوير المعاني في صور حسية يجعل المتلقي يتفاعل معها وكأنها واقع مشاهد.وبذلك ينتقل الاستدلال من التخييل الى الانفعال الى الاقتناع، وهو مسار حجاجي يعتمد على التأثير الوجداني.ويمكن استخراج بعض مقدمة كبرى من ذا النص تتمثل في أنّ النفس الإنسانية تتأثّر بالصور المتخيلة التي تبدو كأنها محسوسة، وتمثل هذه المقدمة قاعدة نفسية عامة تقوم على أن الإنسان يتفاعل مع الصور التخيلية كما يتفاعل مع الوقائع الحسية، كما يمن

استخراج مقدمة صغرى تتمثّل في أن الشعر يصوّر المعاني في صور تخييلية تجعلها وكأنّها مشهودة أمام المتلقي.وتربط هذه المقدمة القاعدة النفسية بطبيعة الخطاب الشعري.وينتهي الاستدلال إلى النتيجة الآتية:إنّ الصورة الشعرية وسيلة فعّالة لاستمالة المتلقي وإقناعه بالمعنى. وبذلك تصبح الصورة الشعرية أداة حجاجية تؤثّر في وجدان المتلقي وتوجّه موقفه من المعنى. وتقوم الحجة هنا على حجة تخييلية انفعالية تعتمد على التأثير النفسي ويمكن تمثيلها بالقياس الآتي:المقدمة الكبرى كل صورة تخييلية قوية تثير انفعال النفس.المقدمة الصغرى الشعر يقدّم المعاني في صور تخييلية قوية.إذن الشعر يثير انفعال النفس ويؤثر في المتلقي.ويمكن تمثيل البناء الاستدلالي في النص كما يأتي:الصورة الشعرية تؤدي الى تكوين صورة ذهنية في الخيال وهي تؤدي الى إثارة الانفعال النفسي وهو يؤدي الى استمالة المتلقي وبالتالي تحقق الإقناع.ويكشف هذا التحليل أن حازم القرطاجني ينظر إلى الصورة الشعرية بوصفها عنصرًا حجاجيًا يؤدي ثلاث وظائف أساسية:تحويل المعنى المجرد إلى صورة محسوسة، مما يسهل إدراكه والتفاعل معه.إثارة الانفعال في نفس المتلقي، لأن الصور المتخيلة تحرك العاطفة والوجدان.توجيه موقف المتلقي من المعنى، إذ يؤدي الانفعال إلى الميل نحو القبول أو الرفض.ومن هنا يصبح التخييل في الشعر وسيلة إقناع غير مباشرة تعتمد على التأثير العاطفي بدل البرهان العقلي.ويتبين من هذا النموذج أن الحجاج التخيّلي والانفعالي عند حازم القرطاجني يقوم على تحويل المعاني إلى صور تخييلية قادرة على إثارة الانفعال النفسي، مما يؤدي إلى استمالة المتلقي وقبوله للمعنى الذي يقصده الخطاب. وبذلك تصبح الصورة الشعرية في منهاج البلغاء أداة مركزية في بناء الحجة البلاغية، حيث يجتمع فيها الجمال الفني والتأثير الإقناعي.

– أثر العاطفة في توجيه المتلقي.

يقول القرطاجني في نص يعكس أثر التخييل والانفعال:إن المعاني إذا قُوِّمت في صورٍ تحرّك العاطفة في النفس، انبعثت النفس إلى الميل إليها أو النفور منها، لأنّ الانفعال الذي يحدث في النفس عند تصور تلك الصور يجعل المتلقي يتجه إلى قبول المعنى الذي يوافق ذلك الانفعال.(٢٠) ويبني حازم حجته هنا على العلاقة بين التخييل والانفعال النفسي؛ إذ يرى أن الخطاب الشعري يثير العاطفة في نفس المتلقي، ويؤدي هذا الانفعال العاطفي إلى توجيه موقفه من المعنى. وبهذا يصبح التأثير العاطفي وسيلة حجاجية تدفع المتلقي إلى تبنّي موقف معين.ويظهر في هذا النص تسلسل حجاجي واضح ينتقل من إثارة العاطفة الى تكوين موقف نفسي ثم الى توجيه المتلقي نحو القبول أو الرفض.ويمكن استخراج مقدمة كبرى من هذا النص تتمثل في أنّ النفس الإنسانية إذا انفعلت بعاطفة قوية مالت إلى المعنى الذي يوافق ذلك الانفعال، وتمثل هذه المقدمة قاعدة نفسية عامة تعتمد على طبيعة الإنسان الذي يتأثر وجدانيًا بما يثير عاطفته.ويمكن استخراج مقدمة صغرى تتمثل في أن الخطاب الشعري يعتمد على التخييل والصور التي تثير العاطفة في نفس المتلقي، وتربط هذه المقدمة القاعدة النفسية بطبيعة الشعر الذي يحرّك الانفعال، لينتهي الاستدلال إلى النتيجة الآتية:تؤدي إثارة العاطفة في الخطاب الشعري إلى توجيه المتلقي نحو قبول المعنى أو رفضه.وبذلك تصبح العاطفة وسيلة حجاجية تؤثّر في موقف المتلقي.وتقوم الحجة هنا على حجة انفعالية نفسية تعتمد على التأثير الوجداني بدل البرهان العقلي.ويمكن تمثيل القياس الحجاجي كما يأتي:كل خطاب يثير عاطفة قوية في النفس يوجّه موقف المتلقي، وهي مقدمة كبرى الشعر يثير عاطفة قوية في النفس، إذن الشعر يوجّه موقف المتلقي.ويمكن تمثيل التدرج المنطقي للحجة على النحو الآتي:تؤدي الصورة الشعرية الى إثارة العاطفة وهو ما يؤدي الى حدوث الانفعال النفسي وبالتالي الى تكوين موقف وجداني، وتوجيه المتلقي نحو القبول أو الرفض(٢١)يكشف هذا التحليل أن حازم القرطاجني ينظر إلى العاطفة بوصفها أداة إقناعية لها دور مهم في الخطاب الشعري، إذ تؤدي عدة وظائف منها: إثارة الانفعال في نفس المتلقي مما يزيد من قوة تأثير الخطاب، وتوجيه موقف المتلقي نحو المعنى الذي يريده الشاعر، وتعزيز الإقناع غير المباشر من خلال التأثير في الوجدان، ومن ثم فإنّ العاطفة في منهاج البلغاء ليست مجرد عنصر شعوري، بل تمثل وسيلة حجاجية فعالة تسهم في تحقيق الإقناع.ويتضح من هذا النموذج أن الحجاج الانفعالي عند حازم القرطاجني يقوم على إثارة العاطفة في نفس المتلقي، لأن الانفعال الوجداني يؤدي إلى توجيه موقفه من المعنى. وبذلك يصبح الخطاب الشعري وسيلة للإقناع عبر التأثير العاطفي، حيث تتكامل الصورة الشعرية والانفعال النفسي في بناء الحجة البلاغية.

٣. الحجاج الجمالي

– جمال النظم بوصفه عنصرًا إقناعيًا.يحتلّ النظم مكانة مركزية في التصور البلاغي عند حازم القرطاجني؛ إذ يرى أن تأثير الخطاب في المتلقي لا يتحقق بالمعنى وحده، بل بالطريقة التي تُنظَّم بها الألفاظ وتُنسَّق داخل الكلام. فحسن ترتيب الألفاظ وتناسبها الصوتي والدلالي يخلق في نفس المتلقي إحساسًا بالجمال، وهذا الإحساس الجمالي يؤدي بدوره إلى تعزيز قبول المعنى. ومن هنا يصبح جمال النظم عنصرًا حجاجيًا يسهم في تحقيق الإقناع.يشير حازم القرطاجني إلى أن الكلام إذا جاء في نظم حسن متلائم الأجزاء، متناسب الألفاظ والمعاني، أحدث في النفس لذةً واستحسانًا، وإذا استحسنت النفس صورة الكلام مالت إلى المعنى الذي يحمله ذلك الكلام.ويقوم الاستدلال في هذا النص على الربط بين الجمال

الفني والتأثير النفسي؛ إذ يرى حازم أن حسن النظم يثير في النفس شعورًا باللذة والاستحسان، ويدفع هذا الشعور المتلقي إلى الميل نحو المعنى الذي يتضمنه الخطاب، وبذلك يتحوّل الجمال الأسلوبي إلى وسيلة إقناع غير مباشرة.ويظهر في النص تدرج حجاجي يبدأ بـ حسن النظم وينتهي بـ قبول المعنى ويمكن استخراج مقدمة كبرى تتمثّل في أنّ كل خطاب يتميّز بجمال الصياغة وحسن النظم يثير في نفس المتلقي شعورًا بالاستحسان. وهذه مقدمة تقوم على ملاحظة نفسية عامة مفادها أن الإنسان يميل إلى الجمال ويستجيب له.ويمكن استخراج مقدمة صغرى تتمثّل أنّ الشعر يعتمد على نظم جميل تتناسب فيه الألفاظ والمعاني، وتربط هذه المقدمة بين القاعدة العامة وطبيعة الخطاب الشعري.ومن اجتماع المقدمتين يصل حازم إلى النتيجة الآتية:إنّ جمال النظم في الشعر يؤدي إلى استمالة المتلقي وتعزيز قبوله للمعنى، وبذلك يصبح الجمال الأسلوبي أداة حجاجية تؤثر في المتلقي.وتقوم الحجة هنا على قياس جمالي نفسي يعتمد على تأثير الإحساس بالجمال في توجيه موقف المتلقي.ويمكن تمثيل القياس كما يأتي:المقدمة الكبرى: كل خطاب جميل الصياغة يثير الاستحسان في النفس.المقدمة الصغرى: الشعر خطاب جميل الصياغة. إذن الشعر يثير الاستحسان ويؤثّر في المتلقي.ويمكن تمثيل البنية الحجاجية على النحو الآتي:حسن النظم يؤدي الى إحساس المتلقي بالجمال وهو يؤدي الى حدوث الاستحسان الذي يؤدي الى الميل إلى المعنى الذي يؤدي في النهاية الى تحقّق الإقناع.ويكشف هذا التحليل أن حازم القرطاجني ينظر إلى جمال النظم بوصفه عنصرًا أساسيًا في التأثير البلاغي، إذ يؤدي الى ثلاث وظائف حجاجية رئيسة يمكن اختصارها فيما يأتي:إثارة الإحساس الجمالي في نفس المتلقي، مما يجعل الخطاب أكثر تأثيرًا.تعزيز قبول المعنى، لأن الجمال يهيئ النفس لتقبّل ما يتضمنه الخطاب.دعم الإقناع غير المباشر، حيث يتحقق التأثير من خلال الجمال الأسلوبي لا البرهان العقلي وحده.ويتبين من هذا النموذج أن الحجاج الجمالي عند حازم القرطاجني يقوم على العلاقة بين حسن النظم والتأثير النفسي؛ فالجمال الأسلوبي يثير الاستحسان في نفس المتلقي، وهذا الاستحسان يدفعه إلى الميل نحو المعنى الذي يتضمنه الخطاب. ومن ثم يصبح جمال النظم في منهاج البلغاء وسيلة حجاجية فعالة تجمع بين البلاغة والجمال والإقناع.

-التناسب الصوتي والإيقاع بوصفهما عنصرين إقناعيين

يرى حازم القرطاجني أن التأثير البلاغي في الشعر لا يتحقق بالمعنى والصورة فقط، بل يعتمد كذلك على الإيقاع الصوتي الذي ينشأ من انتظام الوزن وتناسب الأصوات في الكلام. فالإيقاع يمنح الخطاب الشعري قدرة خاصة على التأثير في نفس المتلقي، إذ يحدث في النفس نوعًا من اللذة السمعية التي تدفع المتلقي إلى الاستجابة للمعنى الذي يتضمنه الخطاب. ومن هنا يصبح التناسب الصوتي عنصرًا مهمًا في بناء الحجة البلاغية. يشير حازم القرطاجني إلى أن الكلام إذا جاء في نسق صوتي متلائم، وكانت ألفاظه متناسبة الإيقاع، أحدث ذلك في السمع لذة، فإذا استحسن السامع إيقاع الكلام مالت نفسه إلى المعنى الذي يحمله ذلك الكلام.ويقوم الاستدلال في هذا النص على الربط بين اللذة السمعية والتأثير النفسي؛ إذ يرى حازم أن التناسب الصوتي في الكلام يولّد إيقاعًا موسيقيًا يبعث في النفس شعورًا بالارتياح والاستحسان، وهذا الشعور يمهد لقبول المعنى الذي يتضمنه الخطاب.وهكذا ينتقل البناء الحجاجي عبر تسلسل واضح:التناسب الصوتي الى اللذة السمعية الى الاستحسان النفسي الى قبول المعنى.ويمكن استخراج مقدمة كبرى تتمثل في أنّ كل خطاب يُحدث في السمع لذة بسبب تناسق أصواته وإيقاعه يميل المتلقي إلى استحسانه. وتمثل هذه المقدمة قاعدة نفسية عامة تتعلق بتأثير الإيقاع الصوتي في الإنسان ويمكن استخراج مقدمة صغرى تتمثل في أنّ الشعر يتميّز بتناسق الأصوات وانتظام الإيقاع بسبب الوزن والقافية، وتربط هذه المقدمة بين القاعدة العامة وطبيعة الخطاب الشعري.وينتهي الاستدلال إلى النتيجة الآتية:يسهم كلّ من التناسب الصوتي والإيقاع في الشعر في استمالة المتلقي وتعزيز قبوله للمعنى.وبذلك يصبح الإيقاع عنصرًا حجاجيًا مؤثرًا في الخطاب الشعري.وتقوم الحجة هنا على قياس جمالي سمعي يعتمد على تأثير الإيقاع في النفس.ويمكن تمثيل القياس كما يأتي:المقدمة الكبرى: كل كلام حسن الإيقاع يثير الاستحسان في النفس.المقدمة الصغرى: الشعر كلام حسن الإيقاع.إذن الشعر يثير الاستحسان ويؤثر في المتلقي.ويمكن تمثيل البناء الحجاجي كما يأتي:التناسب الصوتي يؤدي الى اللذة السمعية التي تؤدي الى الاستحسان النفسي والذي يؤدي بدوره الى الميل إلى المعنى الذي يؤدي بالتالي الى تحقّق الإقناع لدى المتلقي.ويكشف هذا التحليل أنّ حازم القرطاجني ينظر إلى الإيقاع الصوتي بوصفه عنصرًا حجاجيًا يؤدي عدة وظائف منها: إحداث لذة سمعية في نفس المتلقي، مما يزيد من تأثير الخطاب، وتهيئة النفس لقبول المعنى، لأنّ الإيقاع الجميل يخلق شعورًا بالارتياح، وتعزيز الإقناع الجمالي، حيث يعمل الإيقاع مع الصورة والمعنى في تحقيق التأثير البلاغي.ويتضح من هذا النموذج أن التناسب الصوتي والإيقاع عند حازم القرطاجني يمثلان عنصرين أساسيين في البنية الحجاجية للخطاب الشعري؛ إذ يؤدي الإيقاع الجميل إلى إثارة اللذة السمعية والاستحسان النفسي، وهو ما يدفع المتلقي إلى الميل نحو المعنى الذي يتضمنه الخطاب. وبذلك يتكامل الجمال الصوتي والمعنى البلاغي في تحقيق الإقناع.

الخاتمة:

توصل البحث الى مجموعة من النتائج والاستنتاجات كانت هذه اهمها:

١- تختلف مفاهيم الحجاج من حقل الى اخر منها المفهوم الفلسفي والمفهوم المنطقي فضلا عن المفهوم البلاغي والتداولي المنبثق من رؤية لسانية مما جعل مفهوم الحجاج من المفاهيم المثيرة للالتباس التي يصعب الإحاطة بها.

٢- يعتمد الحجاج على تنظيم الأفكار وترتيب الأدلة بطريقة منطقية تساهم في تعزيز قوة الخطاب وفاعليته التأثيرية.

٣- يستخدم المتكلم استراتيجيات الاقناع التي تشمل مجموعة الوسائل البلاغية والتداولية مثل التكرار والتوكيد والاستفهام الاستنكاري والمقارنة والاستعارة يكون لها تأثير في المتلقي والغرض من استخدام هذه الاستراتيجيات هو تحقيق الاستجابة المرجوة ويجعلها عنصرا في بناء الخطاب الحجاجي الفعّال.

٤- يعد التعليل في خطاب القرطاجني ليس مجرد تفسير لغوي، بل هو آلية حجاجية تهدف الى اقناع المتلقي بصحة الحكم البلاغي.

٥- يؤسس القرطاجني نظريته في الشعر على بناء حجاجي متكامل يبدأ بمقدمة نفسية عامة، ثم يطبقها على طبيعة الشعر ليصل الى نتيجة مفادها ان الشعر خطاب اقناعي يعتمد على التخييل في استمالة النفوس، وبهذا يعتبر التخييل أداة حجاجية مركزية في بناء الخطاب الشعري.

٦- يقوم الحجاج الجمالي عند حازم على العلاقة بين حسن النظم والتأثير النفسي فالجمال الاسلوبي يثير الاستحسان في نفس المتلقي ويصبح جمال النظم في منهاج البلغاء وسراج الادباء للقرطاجني وسيلة حجاجية فعالة تجمع بين البلاغة والجمال والاقناع.

List of sources:

(١)- Abdullah Sawla, Argumentation in the Qur'an Through Its Most Important Stylistic Characteristics, Dar Al-Farabi, p. 25.
(٢)- Muhammad Al-Amri, Arabic Rhetoric: Its Origins and Extension, Africa Al-Sharq, p. 112.
(٣)- Hazem Al-Qartajani, The Path of Eloquence and the Lamp of Literature, edited by Muhammad Al-Habib Ibn Al-Khuja, Dar Al-Gharb Al-Islami, 3rd edition, p. 52.
(4)- Oswald Ducrot, Argumentation in Language, translated by Muhammad Al-Amri, p. 33.
(٥) Taha Abd al-Rahman, On the Principles of Dialogue and the Renewal of Islamic Theology, Arab Cultural Center, p. 87.
(6) Abdullah Sawla: Argumentation: Its Framework and Starting Points, from Perelman and Tytka's "A Treatise on Argumentation – The New Rhetoric" (article), in the book *The Most Important Theories of Argumentation in the Western Tradition from Aristotle to the Present Day*, Research Team in Argumentation and Rhetoric, supervised by Hammadi Samoud, Faculty of Arts, Manouba, Tunisia, n.d., p. 299.
(٧) See: Abu Bakr al-Azzawi, *Language and Argumentation*, pp. 14-15.
(٨) - Taha Abd al-Rahman: Al-Lisan wal-Mizan aw al-Takawthul al-Aqli, Arab Cultural Center, 1st ed., 2001, p. 213.
(٩) - Abd al-Hadi bin Dhafir al-Shahri: Discourse Strategies: A Pragmatic Linguistic Approach, Dar al-Kitab al-Jadeed, Libya, 1st ed., 2004, p. 230.
(١٠) - Ibid., p. 230.
(11) - Ibn Jarir al-Tabari: Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an, edited by Ahmad Muhammad Shakir, Al-Risalah Foundation, 2000, vol. 24.
(١٢) - Muhammad Salim Muhammad al-Amin: Argumentation in Contemporary Rhetoric, Dar al-Kitab al-Jadeeda, Benghazi, 1st ed., 2008, p. 107.
(١٣) - Hazem al-Qartajani, Minhaj al-Bulagha' wa Siraj al-Udaba', edited by Muhammad al-Habib Ibn al-Khuja, Dar al-Gharb al-Islami, 3rd ed., p. 45.
(١٤)- Muhammad Abed Al-Jabri, The Structure of the Arab Mind, Center for Arab Unity Studies, p. 312.
(١٥)- Taha Abd al-Rahman, Al-Lisan wa al-Mizan, Arab Cultural Center, p. 128.
(١٦)- Abd al-Salam al-Masdin, Al-Aslubiyya wa al-Uslub, Arab House for Books, p. 67.
(١٧) - See: Hazem al-Qartajani, Minhaj al-Bulagha' wa Siraj al-Udaba', ed. Muhammad al-Habib Ibn al-Khuja, Dar al-Gharib al-Islami, Tunis, 3rd ed., Beirut, 1986, p. 71.
(18) - See: Hazem al-Qartajani, Minhaj al-Bulagha' wa Siraj al-Udaba', pp. 89-91.
(١٩) - Minhaj al-Bulagha', p. 60.
(٢٠) - See: Hazem Al-Qartajani, Minhaj Al-Bulagha’ wa Siraj Al-Udaba’, p. 130.
(21) - See: Hazem Al-Qartajani, Minhaj Al-Bulagha’ wa Siraj Al-Udaba’, p. 89.

هوامش البحث

(١)–عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال اهم خصائصه الاسلوبية، دار الفارابي، ص٢٥.

(٢)–محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتدادها، أفريقيا الشرق، ص١١٢.

(٣)–حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الادباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط٣، ص٥٢.

(٤)– اوزفالد دوكرو، الحجاج في اللغة، ترجمة محمد العمري، ص٣٣.

(٥)– طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ص٨٧.

(٦) – عبد الله صولة: الحجاج اطره ومنطلقاته من خل "مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة" لبيرلمان وتيتكا (مقال) ضمن كتاب اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم، فريق البحث في الحجاج والبلاغة، اشراف: حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، د ط، د ت، ص ٢٩٩.

(٧) ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص ١٤–١٥.

(٨) – طه عبد الرحمن: اللسان والميزان او التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠١م، ص ٢١٣.

(٩) – عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، ليبيا، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٢٣٠.

(١٠) – المرجع نفسه، ص٢٣٠.

(١١) – ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القران، تحقيق: احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م، الجزء ٢٤.

(١٢) – محمد سالم محمد الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديدة، بنغازي، ط١، ٢٠٠٨م، ص١٠٧.

(13) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الادباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط٣، ص٤٥.

(١٤)– محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ص٣١٢.

(١٥)– طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، ص١٢٨.

(١٦)–عبد السلام المسدين، الاسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ص٦٧.

(١٧) – ينظر: حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الادباء، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغريب الإسلامي، تونس، ط٣، بيروت، ١٩٨٦م، ص٧١.

(١٨) – ينظر: حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الادباء، ص٨٩–٩١.

([19])–منهاج البلغاء ص٦٠.

(٢٠) – ينظر: حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الادباء، ص ١٣٠.

(٢١) –ينظر: حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الادباء، ص٨٩.